الدعاية السياسية لدول المحور في مصر* أثناء الحرب العالمية الثانية

د. صفاء شاكر

هناك نظريتان بشأن الدعاية السياسية لتفسير العناصر التي تساهم بشكل أكثر فعالية في نجاح الفعل الدعائي في تعبئة الجمهور وكسب تأييد الرأي العام ؛تستمد النظرية الأولى أسسها من علم النفس الاجتماعي، ومضمونها أن هناك العديد من المكونات اللاشعورية واللاعقلانية التي توجه رغبات الإنسان، وأن على العمل الدعائي أن ينتبه إلى هذه المكونات والتركيز عليها ومحاولة الاستجابة لها بواسطة الوسائل الأكثر نفاذًا إلى هذه البنية، بما يعنى الضرب على وتر القناعات والاعتقادات التي تستنبطها الجماعة هدف الدعاية، واستخدام هذه النظرية في عالم يدفع الباحث إلى العناية بالأيديولوجية باعتبارها الآلية الأكثر قدرة على النفاذ إلى البنية اللاشعورية.

أما النظرية الثانية فتنطلق من مقولة عقلانية الفعل، فبدون إنكار الأيديولوجيا في كل نشاط يستهدف التعبئة الجماعية، ترى هذه النظرية أن الأفراد ليسوا فقط مؤمنين بأهداف وغايات محددة، ولكنهم أصحاب أهداف مادية محددة وعندما ينخرطون في عمل جماعي أو حركة اجتماعية فإنهم يعتبرون ذلك فرصة للحصول على موارد مادية ورمزية[١]

ومصطلح الدعاية الحديث في اللغات الأوروبية Propaganda يعود لفترة حرب الثلاثين عامًا التي شهدتها أوروبا (١٦١٨ــ ١٦٤٨) وخاصة في الأراضي الجرمانية، والتي حدثت نتيجة الانشقاق التاريخي في الكنيسة الكاثوليكية بتمرد مارتن لوثرMartin Luther (١٤٨٣ ــ١٥٤٦)[٢] على الكنيسة محاولاً إصلاحها دينيًا ودنيويًا والتي أدت إلى نشوب الحرب بين الشمال والجنوب في القارة الأوروبية، وخوفًا من انتشار أفكار مارتن لوثر تشكلت مؤسسة عُرفت باسم Congregatio de Propaganda Fide بعد الحرب على يد بابا الفاتيكان جريجورى الخامس عشر(١٦٢١ ــ ١٦٢٣)[٣] من أجل نشر الكاثوليكية بكل الوسائل، فاتخذت من "النشر" وسيلة لتحقيق هدفها[٤]

وتقترب الدعاية من الإعلان من حيث إنها تسعى إلى خلق الآراء أو تغييرها أو تثبيتها ومن حيث إنها تستخدم ــ جزئيًا ــ وسائل تستعيرها من الإعلان، ولكنها تتميز في أنها تستهدف غاية سياسية وليست تجارية[٥]، وانطلاقًا من هذا التحديد تبرز "سذاجة" التعريف الشائع للدعاية السياسية والقائل أنها "فن الإقناع"، ذلك أن الإقناع يفترض ضمنًا وجود "الآخر" و"المحاور" أو "الاتصال بالاتجاهين" إذا شئنا أن نستعمل المصطلحات الأنجلو سكسونية. والمحاور غائب دائمًا في الدعاية السياسية، إذ أن الإعلامي لا يتوجه إطلاقًا إلى "وعى" الأفراد و"منطقهم" بل يستخدم "الأفكار النمطية" ويستفيد من غياب التفكير المنطقي لدى الجمهور وعدم تأهيله في ميدان

المنطق، كما يتوجه أيضًا إلى الغرائز وإلى اللاوعي من الشخصية[٦]، فالدعاية هي جزء من الحرب النفسية.

وقد تعددت تعريفات الحرب النفسية، ولكننا سنقتصر هنا على أن " الحرب النفسية تتضمن استخدام الدعاية ضد عدو، مقترنة بعمليات عسكرية أو إجراءات أخرى تدعو الحاجة إليها لتكملة مثل هذه الدعاية "[٧] وفى تعريف آخر: هي"استخدام مخطط للتأثير في عقول ومشاعر الناس خلال الحرب وتطبق أجزاء من علم النفس لتدعيم جهود العمليات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية". وأنها "هي أنشطة سيكولوجية مخططة تمارس في السلم والحرب وتوجه ضد الجماهير المعادية والصديقة والمحايدة من أجل التأثير على مواقف وسلوكيات هؤلاء لكي تؤثر إيجابًا نحو إنجاز هدف سياسي أو عسكري معين"[٨]

على أن اصطلاح الدعاية لم يكن معروفًا، إذ انتشر بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت فرصة لإجراء التجارب على الدعاية بنطاق لم يسبق له مثيل، فخلال تلك الحرب استطاعت الدعاية أن تتطور لتُصبح علمًا من العلوم التي تقوم على أُسس عامة. ففي عام ١٩١٤ ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى أنشأت وزارة الخارجية البريطانية مكتبًا للدعاية، ولكن الجزء الأكبر من الجهد كان يتم بواسطة المؤسسات الخاصة، وكانت نتيجة الصعاب التنظيمية التي قابلها الإنجليز أن أصبح لديهم في نهاية الحرب وكالتان منفصلتان: الأولى تتكون من وزارة الاستعلامات ومعها إدارة المخابرات للقيام بأعمال الدعاية خارج بريطانيا، أما الوكالة الثانية فهي اللجنة القومية لأغراض الحرب وتقوم بأعمال الحرب النفسية داخل بريطانيا [٩]

ومنذ صيف عام ١٩١٨ أيقن الحلفاء أنه يجب إعداد العدة لتنظيم الدعاية ضد الدول المعادية، عُهد بالإشراف عليها إلى اللورد نورثكليف[١٠]، كما قام الحلفاء بتكوين لجنة مؤلفة من عدة دول لهذا الغرض، فشاركت فيها بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا [١١]

بينما لم ينجح الألمان في دعايتهم في الحرب العالمية الأولى، ولاسيما في الجبهة الداخلية، فقد بدأت الحكومة الألمانية الحرب عام ١٩١٤ واثقة من قوتها، ولكنها لم تقدر عوامل القوة بين صفوف الجماهير، فقد كان القيصر غليوم الثاني Guillaume II(١٨٥٩ــ١٩٤١) الذي ورث عن سلفه عرشًا وجيشًا كبيرًا يؤمن بأن الأمر لا يعنى أحدًا سواه، أما الجماهير فمن الأفضل أن يبعدوا أنوفهم عن هذه الأمور [١٢].

ولما كان اصطلاح الدعاية في القرن العشرين قد ارتبط إلى حد كبير بالنشاط الإعلامي الحكومي الذي يهدف إما إلى التأثير على المواطنين في الداخل ورفع روحهم المعنوية، أو إلى التأثير على الجماهير في الخارج لتحويل ولائهم أو كسب تأييدهم، وإضعاف الروح المعنوية للخصوم، فإن الدعاية في النظم الشمولية تعكس أهداف النظام وتعمل كوسيلة للسيطرة الاجتماعية والمحافظة على النفوذ والسلطة. ولكن بالرغم من أن الحاكم الدكتاتوري لا ينفرد وحده باستخدام فنون الدعاية، إلا أنه قادر على تشكيل الفكر العام إلى حد كبير وفقًا لإرادته؛ لأنه قادر على إبعاد جميع الآراء المنافسة للرأي الرسمي [١٣].

ونظرًا لأن أدولف هتلرAdolf Hitler (٢٠ أبريل ١٨٨٩ــ ٣٠ أبريل ١٩٤٥) كان يؤمن بأن ألمانيا هُزمت بالدعاية في الحرب العالمية الأولى، وأن الدعايات الممسوخة التي وجهتها بلاده أعطت نتائج عكسية لأن الذين أُوكل إليهم تنظيمها لم يُحملوا أنفسهم عناء تحديد الغرض منها ومعرفة ما إذا كانت وسيلة أم غاية [١٤] فقد أمر ــ بعد أسبوع واحد فقط من استيلاء النازي على الحكم ــ بإنشاء وزارة للدعاية تكون مهمتها، من حيث الأهمية، متساوية مع أية مهمة حكومية أخرى [١٥] وركّز على تطوير الدعاية كسلاح عسكري يهدف إلى إضعاف الروح المعنوية لجنود الحلفاء والمحافظة على الروح المعنوية للقوات الألمانية ضد الهجمات النفسية المُوجهة من الأعداء.

وبالرغم من أن الدعاية الإيطالية سبقت الدعاية الألمانية، إلا أن الأخيرة تميّزت بالتنظيم الدقيق الذي جعلها في وقت من أوقات الحرب أقوى الـدعايات، إذ أنهـا استطاعت أن تستفيد من كافة الدراسات المرتبطة بالدعاية السياسية في العـالم، وأن تستغل كل عنصر من عناصرها استغلالاً تامًا، وخاصة العوامل النفسية التي اهتمـوا بها اهتمامًا بالغًا، ليتعرفوا من خلالها على سيكولوجية الشعوب، وبالتالي يـستطيعون التعامل مع كل شعب طبقًا لمدى تقبله لدعاياتهم المكثفة [١٦].

وفى هذا الخصوص كان هتلر يرى أن معلومات الجماهير السياسية ضـئيلة، فالأفراد يتأثرون بالعواطف، ولا يفكرون بأسلوب منطقي، وأن قدرتهم على النسيان كبيرة. أما جوزيف جوبلز Joseph Goebbles (٢٩ أكتوبر ١٨٩٧ــ ١ مايو ١٩٤٥) ــ الوزير الذي جعل الدعاية أداة رئيسة في السيطرة السياسية في الداخل وفى السياسة الخارجية أيضًا[١٧].

فكان يرى أن الجماهير هي مادة لم يتم تشكيلها بعد [١٨]، كمـا قـال: "إن الدعاية وسيلة تستهدف غاية، وهذه الغاية هي حمل الشعب على اعتناق آراء معيّنة، إلى حد يجعل الشعب يُلقى بنفسه، طائعًا مختارًا، وبغير مقاومة أو عناد، في أحـضان ذلك المثل الأعلى الذي ترسمه الحكومة"[١٩].

أهداف المحور من الدعاية في مصر

كان المحور يضع آمالا كبيرة على انتصاراته في شمـال أفريقيـا، لأن هـذه الانتصارات سيكون لها أثرها الكبير في مجرى الحرب، ولو تحققت لسيطر المحور على البحر المتوسط وقناة السويس، ولأمكنه الحصول على كميات البترول التي يملكهـا الشرق الأوسط، وهذا بالضبط ما كان يفكر فيه روميل Erwin Rommel (١٥ نوفمبر ١٨٩١ــ ١٤ أكتوبر ١٩٤٤) حين رسم خطة الهجوم على مصر؛ إذ كان يتحرق شوقًا لتعقب البريطانيين داخل الحدود المصرية وفتح الطريق إلى الإسكندرية وقناة السويس، وطلب موافقة هتلر على تحقيق هذا الهدف [٢٠]

وعلى خط مواز، نجد أنه قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وفى عشية توقيع المعاهدة المصرية الانجليزية في ديسمبر ١٩٣٦ بدأت الاتصالات الإيطالية مع الخارجية البريطانية لتسوية المسائل المتصلة بمصالح البلدين في منطقة شرق البحر المتوسط على أن تشمل المسائل موضع النظر الامتيازات الأجنبية في مصر، ورأي السفير الإيطالي بلندن أن تتضمن المباحثات بين البلدين ضمان الحكومة البريطانية في الاتفاقية الخاصة بإلغاء الامتيازات بوضع خاص للجالية الإيطالية في مصر وأن تشمل المباحثات بحيرة تانا والحدود السودانية للحبشة وقناة السويس(٢١)

كما كانت فكرة الوصول إلى قناة السويس شديدة الإغراء بالنسبة إلى موسوليني Mussolini,Benito (٢٩يوليو ١٨٨٣ـــ ٢٨أبريل ١٩٤٥)، فطالب بنصيب في الإشراف عليها، وقال في خطاب له في ٣١ مارس ١٩٣٩: "... سواء كانت هناك مواثيق أو لم تكن هناك مواثيق فإننا لن نزعن لأن نظل أسرى في البحر المتوسط " (٢٢) وكان يحلم بإقامة إمبراطورية رومانية جديدة حول البحر المتوسط "بحرنا Mare Nostrum" على حساب بريطانيا وفرنسا، وكان واثقًا من النجاح وخصوصًا بعد سقوط فرنسا، كما أن الهجوم الألماني المتوقع على بريطانيا سوف يضطر الأخيرة إلى استدعاء معظم الأسطول البريطاني في البحر المتوسط، لكن بريطانيا كانت تسيطر على قناة السويس كما دعمت دفاعات جزيرة مالطة لضرب قوافل المحور التي تحمل الإمدادات إلى ليبيا، ومن ثم فإن القتال من أجل السيطرة على البحر المتوسط ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعركة من أجل السيطرة على شمال أفريقيا(٢٣)

ولذلك نشطت دعاية المحور واتخذت في هذا النشاط عدة أساليب هي:

أولاً– الأساليب الإعلامية

هيّأت انتصارات إيطاليا في الحبشة مناخًا ملائمًا لبث الدعاية الإيطالية المعادية للوجود البريطاني في مصر، فقد أصبح قطاعًا كبيرًا من الرأي العام المصري يرى أن مصر لا مصلحة لها في إثارة عداء إيطاليا من أجل بريطانيا التي من مصلحتها

استخدام مصر لتحقيق أغراضها الإمبريالية، وخاصة أن إيطاليا قدمت تأكيدات بضمان حقوق مصر في مياه بحيرة تانا، وأبدت استعدادها لعقد معاهدة عدم اعتداء على مصر، ورأى المصريون في انتصارات إيطاليا وتحدّيها لعصبة الأمم، وعجز بريطانيا عن مواجهتها دليلاً على ضعف القوة العسكرية البريطانية مقارنة بالقوة العسكرية الإيطالية[٢٤] وبالتالي ومن أجل اكتساب صداقة الشعب المصري، زار الماريشال " بالبو Balbo " [٢٥] حاكم ليبيا الإيطالي (١٩٣٣ ــ ١٩٤٠) مصر مرتين، وفى كل مرة كان يعلن تأييده لاستقلال مصر[٢٦].

وكان الإيطاليون أول من وجّه إذاعة باللغة العربية في عام ١٩٣٤ إلى الشرق الأوسط وذلك من مركز Prato Smeraldo للراديو في مدينة روما، ولم يكن للتجارب الإذاعية الأولى طابع سياسي واضح، حتى ركّز موسوليني تطلعاته على شمال أفريقيا والحبشة في منتصف الثلاثينيات، فقد كانت إذاعة راديو بارى Bari Radio باللغة العربية مقدمة لحملة إيطاليا على الحبشة، وعملت على تقديم الدوتشى موسوليني كصديق للعرب والمسلمين، واتهمت بريطانيا بالقسوة تجاه العرب.

وقد كانت البرامج الإيطالية الموجّهة للعرب تُبث بانتظام، ووزعت إيطاليا أجهزة الراديو المُعدة لاستقبال المحطات الإيطالية فقط بنظام الموجات القصيرة Short Waves بدون مُقابل ووضعت تلك الأجهزة في أماكن يتجمع بها كثير من الناس أو يلتقون مثل المقاهي والأسواق.

واتسمت الدعاية الإيطالية بالراديو في البداية بالاعتدال تجاه بريطانيا، ولكن حينما اعترضت الأخيرة على العدوان الإيطالي على الحبشة، شنّ الإيطاليون الفاشست "حملة كراهية" ضد بريطانيا، وكان هدف الحملة أساسًا الوصول للمواطنين في دول البحر المتوسط التي تهتم بها بريطانيا مثل مصر وفلسطين [٢٧]

بالإضافة إلى أن الراديو الإيطالي دعا العرب عمومًا للثورة ضد السلطات البريطانية ومقاومتها، كما لجأت إيطاليا إلى إلقاء المنشورات على مصر والتي حملت شعار "البحر المتوسط لشعوب البحر المتوسط" و"مصر للمصريين" مع شعارات خاصة بصداقة إيطاليا ومصر طيلة ألفى عام[٢٨].

من ناحية أخرى، دفع غزو إيطاليا لألبانيا في أبريل ١٩٣٩ إلى تنشيط دعايتها في مصر تبريرًا للغزو وتلميحًا إلى ما عليه بريطانيا من ضعف. ولما كان الجانب البريطاني ملتزمًا باتفاقية روما (الاتفاقية الإنجليزية ــ الإيطالية) فقد وقف مغلول اليدين [٢٩] مما أثار البرلمان البريطاني، ورغب أن تقدم هيئة الإذاعة البريطانية إذاعات للسكان في الشرقين الأدنى والأوسط على أساس أن الدعاية الإيطالية بالراديو كانت تثير المشاعر المعادية لبريطانيا بين العرب وتثير القلاقل في فلسطين.

وسرعان ما استجابت السلطات البريطانية، ففي ٣ يناير ١٩٣٨ أُنشئت الخدمة العربية، ودعى اثنان من الإذاعيين المتمرسين من محطة إذاعة القاهرة للعمل بها. وفى البداية تضمنت البرامج معلومات، ومادة ترفيهية، ومقتطفات من القرآن، كما تضمنت بعض الخطب التي قدمها بعض الساسة العرب المشهورين، وقد اهتمت بالبرامج الدينية بصفة خاصة، فبثت هيئة الإذاعة البريطانية ــ على سبيل المثال ــ برامج خاصة خلال شهر رمضان، وثبت خلال تلك الفترة أن الدين سلاح فعّال في الدعاية السياسية [٣٠]

وفى هذه الفترة، واجهت محطة راديو بارى الإيطالية العديد من المعوّقات كأول إذاعة غير عربية موجّهة للعرب، وأهم هذه المعوقات:

- نقص عدد أجهزة الاستقبال في المناطق المستهدفة، ولذلك اضطرت الحكومة الإيطالية إلى توزيع أجهزة راديو على المستمعين.
- صعوبة تحديد الوقت لمستمعين كان للزمن لديهم معنى يختلف عما هو سائد في الدول الغربية، كما أنه لم يكن لديهم عدد كاف من الساعات،

ولذلك كانت المحطة تعلن عن أوقات البرامج على أساس ظهور الشمس وغروبها.

- استخدمت المحطة مذيعين تونسيين لم يفهم العرب لهجتهم، ولم يُقبلوا على الاستماع إليهم، الأمر الذي جعل الإذاعات التالية الموجهة إلى المنطقة تستخدم اللغة العربية الفصحى التي يفهمها غالبية المستمعين العرب [٣١]

ونتيجة للضعف الذي انتاب الدعاية الإيطالية، بدأ راديو ألمانيا النازية في معاونة حلفائه الإيطاليين، فبدأ خدمته باللغة العربية في منتصف عام ١٩٣٨ من المحطة الموجودة في زيسن Zeesen، خاصة وأن ألمانيا أدركت قدرات الراديو وقامت باستخدامه للدعاية الدولية جنبًا إلى جنب مع الدبلوماسية في تحقيق النفوذ والتأثير وخلق طابور خامس، أو كما قال جوبلز: "الراديو يمكن أن يعمل كبديل للدبلوماسية". وكخطوة تكميلية؛ قامت ألمانيا بجهود مكثفة للتشويش على إرسال هيئة الإذاعة البريطانية وغيرها من محطات الحلفاء [٣٢].

ولم يترك هتلر وجوبلز شيئًا للمصادفة في هذا المجال، فقد فطنا إلى أن ساعات الأمسيات أكثر صلاحية من غيرها من ساعات اليوم لسلب إرادة الإنسان، فهو مستعد للاستماع إلى أي رأي، وقوة معارضته تقل في المساء عنها في الصباح [٣٣] ولذلك علّق لامبسونLampson السفير البريطاني في مصر قائلا: "... فيما يختص بمصالحنا، لا يعنينا كثيرًا أى الشريكين يدير الدعاية المضادة لنا !!"[٣٤]

ولما كان الجانب البريطاني عاجزًا عن مواجهة الدعاية الألمانية، وزاد من عجزه زيارة جوبلز لمصر في السابع من أبريل ١٩٣٩، فقد لجأ لامبسون إلى طريقة استعراض القوة بمرور القوات البريطانية في عرض كبير في شوارع القاهرة، ثم كتب إلى وزارة خارجيته يقترح بإصرار شديد أن يُسمح له بالقيام بحملة دعاية مضادة في الحال لأنها ضرورية من وجهة النظر العسكرية، ثم أضاف: "... لا أملك سوى أن أعرض وجهة النظر التي ترى أن الصمت المفروض علينا هو جنون مطبق، حتى لو

كان ذلك صراحة منى زائدة عن الحد. إن الوضع وصل إلى حد يدفعني إلى أن أقترح أن تبدأ حملتنا الدعائية المضادة من الأسبوع القادم إذا لم تصلني تعليمات تخالف ذلك" (٣٥).

ومع ذلك، فإن وزير خارجيته صّرح له باستخدام ما لديه من وسائل لإيضاح وجهة النظر البريطانية ووقوف بريطانيا ضد العدوان، كما منعه من أن يتجاوز ذلك إلى حملة تهاجم إيطاليا، فذلك نقض للمعاهدة الإنجليزية الإيطالية التي تعتزم لندن أن تلتزم بها، لأن نقضها يعطى إيطاليا مبررًا للتحلل من التزاماتها بمقتضاها، تلك الالتزامات التي تفيد بريطانيا فيما يختص بالشرق الأدنى وسحب القوات الإيطالية من إسبانيا.

ولكن لامبسون عاد في مايو ١٩٣٩ يشكو من الدعاية الإيطالية الألمانية واقترح علاجًا مباشرًا لها بقوله: "... لقد نوهت في مكاتباتى السابقة بخطر هذه الدعاية، وبعدم كفاية إجراءاتنا المضادة. إن الشرط الأساسي الذي ينبغي توافره لكي نقوم بهجوم مضاد هو إنشاء وزارة للإعلام في لندن واتخاذ القاهرة مركزًا للدعاية في العالم العربي، وهذا يماثل تمامًا التنظيم الإيطالي الألماني"(٣٦).

وخلال الأشهر السابقة على اندلاع المعارك كانت دعايات الإذاعات الألمانية بالغة النشاط، وحظيت حملاتها ضد الاستعمار البريطاني والفرنسى بترحيب خاص في كل الأوساط، بل أن تهكّمها على الدول الديمقراطية كان له صدى كبير، وبدأت تنتشر شيئًا فشيئًا فكرة مؤداها أن انتصار المحور هو السبيل لتحرير الشرق من الوصاية الغربية(٣٧).

وفى رسالة الباحث " نيكولاس فوروس " Nicholas Voeroes التي تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه بنيويورك عام ١٩٧٨ بعنوان: (الدعاية الألمانية في مصر١٩٣٩ـ١٩٤٣) German Propaganda in Egypt جاء أن الدعاية الألمانية في مصر كانت قصيرة الأمد وأنها ضعفت نتيجة لتصدى البريطانيين لها(٣٨).

ثانيا– أساليب الجاسوسية[٣٩]

لقد جعل الفاشست من القاهرة واحدًا من أهم المراكز لتجسسهم ونشر نفوذهم في المنطقة.

وثمة معلومات بالغة الأهمية في هذا الصدد أوردتها مجلة The Communist International **في مقالة عن "الدعاية الفاشستية في الشرق الأدنى" جاء فيها: "... إن القاهرة هي أحد المراكز الرئيسية للتجسس لحساب الفاشست الإيطاليين والألمان في اجتماع عقده العملاء الفاشست في القاهرة، ووضعت خطة عامة لنشر الدعاية الفاشستية في الشرق الأدنى، وقد رصدت وزارة الدعاية الألمانية مبلغ ثلاثمائة جنيه إسترليني شهريا للدعاية الفاشستية بالقاهرة " وأضافت المقالة: "... إن الدعاة الفاشست يرددون للجماهير المسلمة دعايات تقول: إن الكثيرين من الألمان والإيطاليين قد اعتنقوا رسالة محمد، وهم يوزعون كتابًا كفاحيًا باعتباره قرآنا جديدا"، وتمضى المقالة متحدثة عن آلاف الجواسيس الألمان الذين يعيشون في منطقة الشرق الأوسط، ثم تختتم المقالة كلامها بأن في مصر وحدها ما يزيد على الثلاثمائة(٣٠٠) جاسوس[٤٠].**

فقد كان الألمان يدركون أهمية القاهرة كمركز للتجسس، لاقتناعهم بقيمة الرسائل اللاسلكية التي كانت ترسل من الملحقين العسكريين الأمريكيين في القاهرة إلى واشنطن، والتي كانت تُلتقط وتُحل شفرتها بواسطة المخابرات الألمانية والإيطالية[٤١].

ولم تكن قوة الألمان هي التي تهدد نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط فحسب؛ بل كان هناك في جميع أنحاء القاهرة، وفى ثكنات ومعسكرات الجيش المصري، في جميع الأراضي المصرية مجموعات للمقاومة التي تعمل على تحرير مصر من السيطرة الانجليزية، وهى في نفس الوقت عبارة عن خلايا صغيرة من السياسيين والعسكريين ورجال الدين، ولكنهم كانوا متّحدين في شيء واحد هو كراهيتهم لانجلترا، وكان

من الممكن أن يصبحوا تنظيما خطرا لو استخدمهم الألمان في تحقيق مآربهم، وبـــذلك يصبحون طابورًا خامسًا[٤٢] لهم، ولم تكن هذه الفكرة بعيدة عن أذهان القيادة العليا الألمانية منذ عام ١٩٤٠[٤٣].

ولذلك تكونت في القاهرة هيئة Ausland Nasi Frauensh تضم النساء الألمانيات المتزوجات من غير آريين، وكان من أغراضها الدعاية للمبـــادئ النازيـــة ونشر الشائعات وأعمال التجسس[٤٤].

ولما كان روميل يحتاج إلى معلومـــات وثيقة عن القوات البريطانية في مـــصر، فقد وضعت خطة لتسلل اثنين من الجواسيس إلى القاهرة وحيفا، أتى إلى مصر منهما رجل في العقد الخامس من عمره يدعى " كلين " وكان اسمه المـــستعار "باثاشـــون" يتكلم العربية بطلاقة، إذ كان يعيش في الإسكندرية ثم عاد إليها مرة أخرى في أثنـــاء هذه المهمة لتركيب أجهزة إرسال سرية فيها، ثم إنشاء مركز للتجسس[٤٥].

وفى عام ١٩٤٢ وبملهى " الكيت كات " ظهر شاب يدعى "حسين جعفـــر" ولم يكن في الواقع سوى جاسوسٍ ألماني اسمه "هانز إبلر" قررت المخـــابرات الحربيـــة الألمانية "الأبوير" Abwehr[٤٦] زرعه كجاسوس في القاهرة، فقد كان إبلر يعيش في ألمانيا قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكان صغيرًا عندما انتقلـــت والدتـــه إلى الإسكندرية، ثم تزوجت المستشار المصري "صالح جعفر" الذي تّبنى ابنـــها وربـــاه مسلمًا ثم أعطاه لقب "حسين جعفر" وأرسله إلى المدرسة في أوروبا، على حين ظلت الإسكندرية وطنه.

وكل ما جذب المخابرات الألمانية فيه هو أنه رغم كونه ألمانيًا، إلا أن معظـــم الناس عرفوه كمصري. وذكر إبلر أنه أجرى اتصالات في عام ١٩٣٧ بثلاث مـــن الجماعات الوطنية في مصر والتي كانت على استعداد للعمل لحسابه وهى: الإخوان المسلمون ومصر الفتاة ثم أعضاء "الحرس الحديدي"، وتم إيفـــاده إلى ألمانيـــا لإتمـــام تدريبه.

رحلة إبلر عائدا إلى القاهرة عام ١٩٤٢ بدأت في ليبيا، حيث قرر رؤساؤه الألمان أنها هي أسلم الطرق لكي يتسلل إلى مصر وبحوزته جهاز اللاسلكي الخاص به، على أن يتخذ طريق البر عن طريق الصحراء الغربية وكان على رأس هذه الحملة الكونت المجرى "لادى سالوس الماسى".

هكذا انطلق إبلر في رحلته والتي كانت تحمل الاسم الكودي "العملية سلام" في منتصف مايو وكان بصحبته عامل اللاسلكي التابع له "ساندى" والكونت الماسى وشخصان آخران.

افترق إبلر وساندى عن الكونت الماسى على بعد أميال قليلة خارج أسيوط وسارا إلى المدينة يحملان حقيبتيهما التي كانت بإحداهما الجنيهات الإنجليزية والمصرية، والأخرى كان بها جهاز الإرسال والاستقبال بقوة ٤٠٠ واط، وما لبث إبلر أن خلع على نفسه من جديد اسمه المصري "حسين جعفر" بينما كان ساندى يتظاهر بأنه شاب أمريكي اسمه "بيتر مونكاستر".

هنا كانت نهاية "عملية سلام" وفى نفس الوقت بدأت العملية "كوندور"[٤٧]

بدأ إبلر في الاتصال بصديقته القديمة "حكمت فهمي" الراقصة المشهورة بملهى الكيت كات، وأحد مصادر المعلومات الهامة لقلم المخابرات الألماني [٤٨].

كما استطاع إبلر التعرف على كثير من المعلومات العسكرية في أثناء جولاته حول مستودعات العباسية. وكان الجاسوسان يبعثان برسائلهما مستخدمين شفرة مأخوذة من سطور رواية " ربيكا " تأليف "دافنى دى موريه" ولكن لم يكن لديهما فرصة طويلة لاستخدامها، ولما ظنّا أن الجهاز به عطب ما، تعّرفا على"أنور السادات" الذي كان وقتها ضابطًا بسلاح الإشارة في المعادى بالقاهرة، فأكد لهما أن الجهاز على ما يرام.

وفى العاشر من شهر يوليو شُنت غارة على وحدة التنصت في المنطقة المتقدمة، ومن بين الأسرى الذين اقتيدوا عاملاا لاسلكي في حوزتهما نسخ إنجليزية من رواية "ربيكا"، ولم يكن أي من الرجلين يتكلم الإنجليزية، ومن ثم اقتيدوا إلى مركز الاستجواب في المعادى، وافترض البريطانيون أن الرواية تستخدم لأغراض الشفرة، وتأكد هذا من خلال رسالة تقول: إنه تم بيع خمس نسخ من نفس الرواية اشترتها زوجة الملحق العسكري الألماني في لشبونة في شهر مارس.

وبعد أن تم القبض على إيبلر وساندى وجرى استجوابهما، قبض على السادات لدوره في المؤامرة، أما سبب عدم إعدام الجاسوسين فتمثل في أن البريطانيين كان يتعين عليهم إعدام السادات أيضا، وكان إعدام ضابط في الجيش المصري يعد أمرا شديد الخطورة والاستفزاز، وتلك مخاطرة لم يقدم عليها أحد، وبينما ذهب إيبلر وساندى لقضاء بقية سنوات الحرب في معسكر للأسرى، جرد السادات من رتبته وأودع في سجن الأجانب، ثم نقلوه إلى معتقل المنيا في ديسمبر ١٩٤٢[٤٩]

هذا بالإضافة إلى شبكة من الجواسيس الإيطاليين في القاهرة كان يقودهم ضابط إيطالي يدعى "نانى" [٥٠].

ثالثا– الأساليب الدبلوماسية[٥١]

أفادت مخابرات بريطانيا في تركيا بأن " شوقى الهان " وزير تركيا المفوض آنذاك في مصر قد سافر أكثر من مرة إلى تركيا بحجة الأجازة أو مراجعة حكومته في بعض الشئون بينما هو يسافر في الحقيقة موفدًا من سلطات مصرية عليا للاتصال بالسلطات الألمانية في تركيا وإبلاغها أنباء خاصة لكي تبلغها بدورها إلى السلطات العليا في برلين.

وأن الآنسة " دولوروس دى بدروز " الملحقة السياسية بمفوضية إسبانيا في القاهرة كانت همزة اتصال بين فريق من كبار المصريين الموالين للمحور وبين سفارة ألمانيا في مدريد(٥٢).

كما كانت المفوضية الإيطالية في مصر شديدة النشاط في مجال الدعاية، فالكونت "سيرافينو دى بونتى ماتزوليني " Serafino Dei Ponti Mazzolini وزير إيطاليا المفوض لم يغادر القاهرة فور قطع الحكومة المصرية علاقتها الدبلوماسية مع بلاده يوم ١٢ يونيو ١٩٤٠ كرد فعل لإعلان موسوليني الحرب في ١٠ يونيو، وذكرت بعض المصادر أنه تباطأ وماطل في سفره بغرض ظاهري هو ترحيل المسئولين الإيطاليين والمدنيين(٥٣).

ولكن الواقع أن الخارجية المصرية رفضت سفره إلا بعد رحيل وزير مصر المفوض في روما عن الأراضي الإيطالية في أقرب فرصة تحت مظلة الضمانات الدبلوماسية له ولموظفيه في المفوضية المصرية بروما (٥٤).

على الجانب الآخر، ذكرت التقارير البريطانية عن ماتزوليني ــ الذي قدم أوراق اعتماده في ١٥ يناير ١٩٣٦ــ أن مهمته الواضحة هي تنفيذ سياسة إيطالية نشطة، وأن الإنكار المستمر من جانبه لا ينفى أن البعثة الإيطالية غير بريئة من استخدام الدعاية وربما المال لإثارة المشاعر المعادية للبريطانيين في مصر(٥٥)، إلا أن نفس التقارير أشارت إلى أن تعيينه في مصر لم يكن فألاً حسنًا وذلك لتاريخ الرجل مع الحزب الفاشي الإيطالي(٥٦).

وكان هذا التأخير في رحيل الإيطاليين عن مصر سببًا في غضب السفير البريطاني؛ لأنه رأي أن المفوضية الإيطالية "تملك الوسائل ولديها الكفاءة ولها الاتصالات التي تجعل لدعايتها تأثيرًا بين المصريين خاصة مع وجود الكابتن" أوجو دادون" Ago Dadone رئيس مركز الاستعلامات الإيطالي الذي اتخذ من وظيفته وسيلة لتنظيم طابور خامس لجمع المعلومات". كما كان هناك الملحق التجاري

"ديسيو بافونى " Dicio Buffoni فقد كان رسامًا وله صلاته بالمجتمع الفني والأوساط المثقفة في مصر[٥٧]، بالإضافة إلى أعضاء المفوضية الذين ناهز عددهم المائة؛ إذ كثّف كل هؤلاء نشاطهم الدعائي في القاهرة قبل إغلاق المفوضية[٥٨].

على أية حال، لم يرحل ماتزوليني عن مصر إلا في الثالث والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٤٠، ومع ذلك ظلت السلطات البريطانية تشك في أن المفوضية الإيطالية تركت وراءها موظفين يقومون بتبليغ ما يقوم به الإنجليز في مصر للنظامين الفاشي والنازي "ويلتقطون أية إشارة حتى وإن كانت غير مقصودة على فنادق ونوادي القاهرة والإسكندرية"[٥٩].

ومن جانبها، اتخذت مصر حيال الدول التي دارت في فلك المحور، عدة قرارات خرجت من عباءة الأحكام العرفية، فبالإضافة إلى قطع العلاقات السياسية، اتخذ مجلس الوزراء قرارًا تضمن "زوال الصفة الرسمية لرئيسي بعثتي رومانيا وبلغاريا في نظر الحكومة المصرية، وأنه من باب المجاملة وحدها سيُسمح لهما شخصيًا بالتمتع بالحصانة والامتيازات السياسية مع الاعتراف لهما بالإشراف بطريق غير رسمي على المصالح الخاصة بمواطنيهم في مصر"، وقد ترتب على زوال الصفة الرسمية لهما أن أصبح أعضاء هاتين البعثتين غير ذوى صفة رسمية وبالتالي لم يُسمح لهما باستعمال الرمز "الشفرة" في مراسلاتهما مع حكوماتهما أو أية جهة أخرى، غير أنه جاز لهما القيام بالأعمال بصفة غير رسمية كسكرتيرين أو مندوبين خصوصيين لرئيس البعثة وفى الحدود المسموح بها لهما. ثم أن أعضاء القنصليات التابعة للدولتين المذكورتين قد زالت عنهم كذلك الصفة الرسمية بحكم التغيير الذي طرأ على مركز البعثتين الذين كانوا يمارسون فيها اختصاصهم، إلا أن يكون الأمر متمثلا في شكل مساعٍ شخصية بحتة متعلقة بالمصالح الخاصة بمواطنيهم.

وفى ١٢ أبريل اتخذ مجلس الوزراء نفس القرارات بالنسبة لبعثتي المجر والدانمارك[٦٠].

وفى ٢٤ أبريل ١٩٤١ رُفع ما تمتع به وزير اليابان المفوض في مصر من حق استعمال الشفرة في مراسلاته مع حكومته وكذلك استعمال الحقيبة الدبلوماسية[٦١]، وفى ٨ ديسمبر قطع العلاقات الدبلوماسية معها[٦٢].

وذكرت بعض المصادر أن القنصل الياباني في بور سعيد كان يقوم بتصوير الغارات الجوية، وبالتالي تم إغلاق قنصليات دول المحور في الموانى المصرية[٦٣]

أما المجر، فقد قطعت مصر علاقاتها معها في ١٥ ديسمبر ١٩٤١، كما كانت مصر قد قطعت علاقاتها أيضا مع رومانيا في شهر يونيو من قبل نظرًا لأن السلطات البريطانية كانت ترتاب في أن المفوضية الرومانية في القاهرة تقوم بدور الجاسوس على الأوضاع الإنجليزية في مصر[٦٤] بجانب قطع العلاقات المصرية مع بلغاريا وفنلندا في ٥ يناير ١٩٤٢.

تأثير الدعاية على القوى السياسية في مصر

كان لهذه الموجة من الدعاية أثرها في أوساط عديدة، وخاصة أن تلك الدعاية قد شجّعتها بعض القوى السياسية المصرية عن عمد.

فعباس حليم عمل على تشكيل فرق خاصة من الشباب أطلق عليها اسم "جيش الخلاص" تلقّت تدريبًا عسكريًا شبيهًا بنظام الكشافة، وألحق بها الشباب من طلبة المدارس وفرض على الأعضاء تحية خاصة برفع اليد[٦٥]

بل إن إسماعيل صدقي باشا عُدّت مشاهداته في برلين دعاية غير مباشرة للنظام الألماني عندما تحدث عن ذلك في مجلس النواب في ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ قائلا: ".. لقد رأيتُ في ألمانيا أن الفرد قد فنى في سبيل المجموع أي في سبيل الدولة، رأيت التضحية، رأيت الحرمان المقصود بهما أن تتحقق من ورائهما قوة المجموع ومجد المجموع "، وفى نفس الجلسة استكمل محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء آنذاك

حلقة الإعجاب بألمانيا قائلا:"لقد رأيتُ كثيرًا مما يسترعى النظر كإنجاز بعض المسائل في ساعة مما يتطلب أمثالها هنا أسبوعين أو ثلاثة"(٦٦).

وعندما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا النازية في ٣ سبتمبر ١٩٣٩، واجهت وزارة علي ماهر باشا الثانية (٨ أغسطس ١٩٣٩ــ ٢٧ يونيو ١٩٤٠) الضغوط المكثفة للسفير البريطاني للأسباب الآتية:

- شكوك السلطات البريطانية في حكومة علي ماهر منذ بداية الحرب وميولها تجاه المحور ــ من وجهة نظر السفير ــ لم تتعاون معه لاعتقال كل الألمان في مصر وعدم حماسه للقيام بدعاية مضادة لإيطاليا في الصحافة والإذاعة وعدم موافقته على مصادرة الشركات الإيطالية وتجميد العلاقات المالية للإيطاليين في البنوك المحلية(٦٧)
- وكانت الحكومة المصرية قد استولت على البنوك الألمانية وعقود الأعمال التابعة لهم فور تصريح بريطانيا بإعلان الحرب على ألمانيا بينما اتخذت موقفًا مختلفًا بالنسبة للإيطاليين فيما يخص البنوك والأعمال التابعة لهم في مصر(٦٨)
- إصرار حكومة على ماهر على اتباع سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب حتى بعد دخول إيطاليا الحرب في ١٠ يونيو ١٩٤٠، فقام السفير باتهام رئيس الوزراء بالانحياز إلى إيطاليا وتدخل مباشرة لإقالته(٦٩) ولم يعر اهتمامًا للمبرر الذي ساقه علي ماهر بأنه لا يريد اكتساب خصومة مع أي دولة وأنه لا بد من احترام مبدأ حياد مصر في الحرب(٧٠)
- إشراك علي ماهر لكل من عبد الرحمن عزام وزيرًا للأوقاف وصالح حرب وزيرًا للدفاع في حكومته بجانب عزيز المصري رئيسًا لهيئة أركان حرب الجيش المصري، مما جعل لامبسون يشعر بأن هذه الوزارة غير ودية تجاه بلاده، وأن استمرارها قد يُضعف نفوذها في مصر، إذ كان عزيز المصري وعزام وحرب يتفاخرون بالتنظيم الحربي والقوة الألمانية، ويحثون ضباط

الجيش المصري على اعتناق هذه الأفكار، فأطلقت عليهم السفارة البريطانية "الثلاثي الحربي " Military Trio. وتبنى على ماهر وزميلاه عزيز المصري وعزام لفكرة إنشاء الجيش المرابط لتنمية قدرات مصر الحربية دون أن يكون لبريطانيا عليه أي سطوة[٧١] .

ولما طلب السفير البريطاني من علي ماهر اعتقال إسماعيل صدقي وهو رئيس وزراء سابق وتوفيق دوس الوزير السابق وأحمد كامل مدير بلدية الإسكندرية لأنهم أعضاء في مجلس إدارات شركات ألمانية[٧٢] لم يمتثل لأوامره.

لكل هذه الأسباب؛ كتب لامبسون إلى حكومته في ١٥ يونيو ١٩٤٠ يصف علي ماهر بأنه "غير متعاون ولا يمكن الاعتماد عليه، بل ولا احترامه، فهو بالرغم من وعوده المتكررة، قد فشل تمامًا في توجيه الرأي العام إلى الوجهة السليمة ولم يبق في طاقتي أو مقدوري أن يظل في منصبه أكثر من ذلك"[٧٣] .

وقد حدث بالفعل، أن وجّه السفير البريطاني ــ بعد موافقة لندن ــ أمرًا رسميًّا إلى الملك فاروق في ١٧ يونيو ١٩٤٠ بتغيير الحكومة القائمة. وهكذا استقال علي ماهر باشا في ٢٣ يونيو ١٩٤٠ بعد أن وافق فاروق ــ على مضض ــ أن يضحى برجله على حد تعبير لامبسون[٧٤]

وتؤكد المخابرات البريطانية في أحد تقاريرها، أنها كشفت ــ بعد الحرب ــ وثائق ألمانية تفيد أن علي ماهر ــ المدبّر الأساسي لتقارب القصر مع المحور ــ كان يحصل من النازي على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر Dresdner ولم يكن مصادفة أن الصديق الوفي لعلي ماهر في ذلك الحين ــ محمود عزمي ــ الذي ألّف عنه كتابًا بعنوان " الأيام المائة " كان أيضًا في رأي السفير الانجليزي " قد أصدر مجلة أسبوعية في مارس ١٩٣٦ تلقى العون المالي لإصدارها من الإيطاليين" [٧٥] بجانب تشجيعه للمنظمات شبه الفاشية وبالذات جماعة "مصر الفتاة" التي تحولت فيما بعد إلى "الحزب الوطني الإسلامي"[٧٦] .

أما إذاعات راديو بارى فقد كانت تبدى احترامًا كبيرًا لعلى ماهر، وعندما اعتقله النحاس باشا، راحت هذه الإذاعة تحرّض الشعب المصري لإنقاذه قائلة إنه"الرجل الذي يحظى باحترام كبير في الخارج، وأنه حارب الإنجليز من أجل رفاهية مصر"(٧٧) .

وفى أعقاب تولّى مصطفى النحاس باشا للوزارة بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ اطمأن السفير البريطاني إلى استقرار الجبهة الداخلية خاصة بعد أن قامت حكومة النحاس باعتقال بعض الشخصيات بناء على طلب السفير، فعملت على إخراج العناصر الإيطالية من القصر والعناصر التي كانت على صلة بهم، مثل: علي ماهر وصالح حرب، وأحمد حسين، وعبد الوهاب طلعت باشا وكيل الديوان الملكي، بل واعتقالهم(٧٨).

وامتدت يد الاعتقال لبعض الأمراء الذين عرفت عنهم الميول المحورية، فاعتقل الأمير عمر الفاروق، والنبيل عباس حليم، ثم محمد طاهر رئيس اتحاد الرياضة، وكذلك أُغلق نادي السيارات الملكي بالقاهرة الذي اعتُبر مقرًّا للنشاط المعادي للحلفاء، وكما وصفه لامبسون في يونيو ١٩٤٢ "فإنه مقر للطابور الخامس" ولكن عندما عقد النحاس العزم على اعتقال صالح حرب ــ رئيس جمعية الشبان المسلمين ــ امتعض الملك نظرًا للاتجاه الإسلامي الذي كان قد قطع شوطًا فيه، لكنه لم يكن يقدر على المعارضة، واقترح النحاس أن يبعد إلى أسوان(٧٩) .

على جانب آخر، يلاحظ أن بعض التيارات السياسية قد أُنشئت في البلاد قبل اندلاع الحرب(١٩٣٣) مثل "مصر الفتاة" التي كانت انعكاسًا لتأثير المد الفاشي على السياسة المصرية. وقد تبلور الاتجاه الفاشي للجماعة بتشكيل جماعة "القمصان الخضراء" على غرار القمصان السوداء في إيطاليا والقمصان البنية في ألمانيا لتكون أداة للاضطرابات والإثارة السياسية (٨٠) .

من جانب آخر، نجد أن حزب الوفد باعتباره القوة الشعبية الرئيسة في البلاد، رأى زعماؤه أن اعتمادهم فقط على "شعبية عزلاء" جعل بالإمكان وباستمرار ضرب هذه الشعبية وسلبها من أي قيمة، كما أن تكوين فرقة "القمصان الخضراء" التابعة لمصر الفتاة أثار هواجس القيادة الوفدية، كما أثار حميتها؛ مما دعاها إلى اصطناع وسائل الآخرين في استقطاب الشباب، فكان تنظيم "القمصان الزرقاء" التي ذكرت الوثائق البريطانية أنها تشكلت "خصيصا لمواجهة تنظيم القمصان الخضراء وإعادة نفوذ الوفد المتهاوي على الشباب"[٨١]

وفى هذا المجال، أشارت تقارير من دار المندوب السامي إلى "صمويل هور" وزير الخارجية البريطانية إلى أن علاقة مصر الفتاة بأجهزة الدعاية الإيطالية في مصر قد توثقت إلى حد بعيد، فتقدمت مصر الفتاة بالتماس إلى الملك تطلب فيه أن تقف مصر على الحياد في النزاع الحبشي الإيطالي. وكانت هذه الحركة بتوجيه من "أوجو دادون" المسئول عن النشاط الدعائي لإيطاليا[٨٢] .

ولذلك، ظلت الشكوك البريطانية تحوم حول تنظيم أصحاب القمصان الزرقاء بالرغم من طبيعة الوفد كحزب ليبرالي يؤمن بالديمقراطية، إذ أن كلاً من النحاس ومكرم عبيد خلال زيارتهما لألمانيا في أثناء عودتهما من لندن عقب توقيع المعاهدة، أبديا اهتمامًا متزايدًا بتنظيمات الشبيبة النازية مما دعا الإنجليز إلى الربط بين هذا الاهتمام وبين الجهود التي يبذلها الوفد لتطوير القمصان الزرقاء، وخرجوا من هذا الربط بأن تلك القمصان في طريقها لتتحول لتنظيم فاشي، كما طلب المسئولون البريطانيون في القاهرة من وزارة الخارجية في لندن بأن تسعى للحصول على مزيد من المعلومات من سفيرها في برلين عن طبيعة نشاط النحاس ومكرم عبيد خلال زيارتهما للعاصمة الألمانية[٨٣].

وتدريجيًّا، وبناء على ضغط لامبسون نشر قائد تنظيم "القمصان الزرقاء" بيانًا في ١٢ ديسمبر يأمر فيه أتباعه ــ بناء على تعليمات النحاس ــ بأن يتجرد من أي نوع من السلاح وأن يقتصر أمرهم على أن يكونوا جماعة رياضية[٨٤] .

من جهة أخرى، أقام خديو مصر السابق عباس حلمي الثاني اتصالات مع وزارة الدفاع ووزارة الخارجية الألمانيتين، وفى كتابه: (ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي) افترض" لوكاز هيرزويز" أن تكون مصالح عباس حلمي المالية في أوروبا قد لعبت دورًا كبيرًا في علاقاته الودية بالسلطات الألمانية، إذ كان على علاقة طيبة برجال الصناعة الألمان، وكان وجود عباس حلمي في أوروبا من العوامل المهمة التي حملت فاروق على السعي إلى إقامة اتصالات بالألمان لكي يؤمّن حقوقه العائلية في حالة انتصار المحور[٨٥] .

أيضًا كانت هناك اتصالات بين المحور والمصريين المقيمين في أوروبا، فمثلاً كانت توجد "الجمعية الوطنية المصرية" وهى الجمعية التي كانت تساندها الحكومة الإيطالية وكان يرأسها "الطيب ناصر"[٨٦] الدكتور الذي عرضت عليه إيطاليا أن يتولى إدارة برامج إذاعة "مصر القومية" ولكنه رفض إلا إذا استجابت دول المحور لطلبه بإعلان استقلال مصر والسودان[٨٧].

ومع ذلك، فإن إذاعات الدكتور الطيب ناصر قد خلت من الدعاية للأيديولوجية الفاشية، وفيما يبدو فإن السلطات الإيطالية والألمانية لم تُلح عليه في هذا الشأن، ذلك أن كل ما كان يهم الدولتان، إنما هو كسب الحرب وليس انتشار الفكرة الفاشية[٨٨] .

أما الملك فاروق رأس الحكم في مصر؛ فكان منذ وقت مبكّر وهو لا يزال يحكم عن طريق مجلس الوصاية، وجهود لامبسون متصلة للتخلص من الحاشية الإيطالية في القصر، ونصحه بأنه كملك دستوري لمصر المستقلة ينبغي ألا تضم حاشيته عناصر غير مصرية، ولكن مساعيه لم تصادف نجاحًا قبل نشوب الحرب.

وقد توالت تقارير لامبسون تحمل شكواه من الدعاية المحورية ومخاوفه من آثارها. ففي يناير سنة ١٩٣٩ كتب يقول: "الحق أنه يُخشى أن عملاء إيطاليا وألمانيا قد يؤثرون بواسطة صنائعهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما ــ برلين، أي حيدة مصر في حالة قيام الحرب، وليس هناك من شك في أن الدعاية الألمانية والإيطالية تعمل على أن تزكّى بين المصريين جميعًا ــ سواء الطبقات العليا أو الدنيا ــ الشعور بأن مصر ينبغي أن تتجنب الانسياق إلى حروب إنجلترا إذا كانت تلك الحروب لأسباب لا تمس مصالح مصر بطريقة مباشرة "، وأضاف لامبسون قائلاً: ".. إن الدعاية الإيطالية الألمانية شاملة، لكن يبدو أن أحد مجالاتها المفضّلة هو ما يماثل في مصر الطبقة الأرستقراطية، أى البلاط ومن يدورون في فلكه، الأتراك والمصريون والعناصر الراقية والأكثر تعاليًا في المجتمع المصري. وفى هذا المجال يجد عملاء الدعاية الإيطالية الألمانية آذانًا أكثر تعاطفًا عما هو الحال في الدوائر الأكثر بورجوازية وشعبية والتي لا تزال على عدائها لإيطاليا تحت لواء الوفد، وكل هذه الدعاية المقنعة والمتباينة لها غاية واحدة؛ هي تقويض مركز إنجلترا في مصر والشرقين الأدنى والأوسط لصالح محور روما ــ برلين، ولا بد لها أن تضعف مركزنا في أي وقت وفى أي مكان تتعارض فيه مصالح بريطانيا العظمى مع مصالح العالم المصري والعربي"[٨٩]

وفى النهاية تم استبعاد "بوللى" ــ الذي كان كهربائيًّا في القصر ثم انضم إلى الحاشية ــ في محاولة لتبديد ما استقر في ذهن السفير البريطاني من أن "جلالته محوري الهوى"[٩٠]

ولكن الواقع أن الملك فاروق اتصل بالإيطاليين اتصالاً سريعًا وهامشيًا في بداية قيام الحرب فقط، ويبدو أنه قد انصرف عن الاتصال بهم عندما تبين له أن مركز القوة في المحور هو ألمانيا، كما أنه أخفى اتصالاته مع الألمان ــ والتي بدأت في

منتصف عام ١٩٤١ ــ عن الإيطاليين وعن عملائهم منذ أن وصل الفيلق الألماني إلى شمال أفريقيا[٩١]

ويبدو أن الهدف الأساسي من وراء اتصال فاروق بالألمان في ذلك الوقت هو رغبته في الحصول على تأييدهم في أي مواجهة مقبلة له مع الإنجليز، إذ كان الملك منذ فترة متخوفًا من المصير الذي قد يلقاه على يد السلطات البريطانية عندما أخذ عداؤه لهم أبعادًا جديدة، كما أراد عن طريق مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض في برلين أن يتعرف على المدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا التأييد الألماني إذا فكر الإنجليز في خلعه من العرش ولكنه لم يحظ إلا بالتأييد المعنوي فقط، ومن ثم قرر مواصلة الاتصال مع المسئولين الألمان والانتظار لحين توافر الظروف المواتية للتحرك بمساعدتهم من أجل التخلص من الإنجليز[٩٢] .

ومن جانب آخر جرت اتصالات بين يوسف ذو الفقار باشا ــ سفير مصر في طهران وصهر الملك فاروق ــ في أبريل ١٩٤١ بإيتل Ettel ــ وزير ألمانيا المفوض في إيران ــ باسم الملك المصري وبتعليمات خاصة منه ــ وقد أشار ذو الفقار إلى الموقف الذي وضع فيه فاروق نتيجة الضغط البريطاني المستمر عليه. وقد عبّر عن عطف مليكه على هتلر واحترامه له ولألمانيا وعن أطيب تمنياته بالانتصار على بريطانيا. وقد صرّح بأن الملك وشعبه يودان مشاهدة قوات التحرير الألمانية في مصر في أسرع وقت ممكن. وردًا على سؤال إيتل الخاص بموقف مصر من إيطاليا، كان رد ذو الفقار: إن المصريين ــ في الوقت الذي يحارب فيه الجنود الألمان في شمال أفريقيا أيضًا ــ قد أيقنوا أن الألمان قد أتوا كمحررين لا كطغاة جدد مثل الإيطاليين.

وفى ٣٠ أبريل ١٩٤١ تلقى إيتل مذكرة موجّهة إلى السفير المصري ردًا على رسالة الملك فاروق، وقد أكد فيها ريبنتروب Ribbentrop (١٨٩٣ــ ١٩٤٥) وزير الخارجية الألمانية في أثناء الحرب ــ للملك باسم هتلر أن حرب ألمانيا ليست موجّهة ضد مصر أو ضد أي بلد عربي، بل ضد إنجلترا فقط، وجاء في المذكرة أن

دولتي المحور تريدان طرد بريطانيا من الشرق الأدنى إلى غير رجعة، وإقامة نظام جديد يقوم على مبدأ المصالح المشروعة لكل الشعوب، وأكد ريبنتروب أن ألمانيا ليست لها أطماع إقليمية في البلدان العربية، بل إن كلاً من موسوليني وهتلر يرغبان في تحقيق استقلال مصر وكل العالم العربي[٩٣].

غير أن أخطر ما قام ذو الفقار باشا بإبلاغه إلى ألمانيا كان فحوى رسالة من فاروق بتاريخ ٢٩يونيو ١٩٤١ أوردت تفاصيل دقيقة عن خطة بريطانية لاحتلال حقول النفط الإيرانية.

ولما كانت بريطانيا ترى في هذه الخطوة أمرًا حيويًا لحماية مصالحها ضد أي غزو ألماني لإيران والعراق عن طريق الأراضي الروسية خاصة وأن حكومة موسكو كانت تشكّل مع الرايخ تحالفًا آنذاك (اتفاقية عدم اعتداء عقدها هتلر مع موسكو في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ انتهت بهجوم ألمانيا على السوفييت في عام ١٩٤٣)؛ فقد أجبرت لندن الشاه رضا بهلوى ــ ذا الميول المحورية والذي كان يعلم فحوى رسالة فاروق، على التنازل عن العرش" لأسباب صحية "وتم نفيه إلى مورشيوس[٩٤] أما يوسف ذو الفقار باشا فالمرجّح أنه أُجبر على تقديم استقالته[٩٥].

على نفس النسق، اتصل الملك فاروق بألمانيا النازية عن طريق عبد الفتاح عسل بك الذي تقابل مع علي ماهر باشا فسلّمه رسالة بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن الملك لهتلر تحمل تأكيدات فاروق للزعيم النازي بصداقته للمحور وكراهيته لبريطانيا[٩٦].

وذكرت بعض المصادر[٩٧] أن السفير البريطاني في القاهرة تولدت لديه الرغبة لنقل عسل بك من مفوضية برن بسويسرا لأنه أدلى بتصريحات مؤّيدة للألمان.

وهكذا نرى أن الاتصال المصري بألمانيا تمثّل في مرحلة المد النازي في أوروبا طمعًا في الحصول على استقلال مصر من خلال احتمالات فوز المحور في الحرب

خاصة مع ما كان يتعرض له الملك من ضغوط بريطانية لا تسمح له بممارسة حكمه لمصر بشكل أكثر حرية واستقلالاً.

ولكن عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، وهزيمة الألمان في العلمين حاول الملك فاروق تخفيف حدة التوتر بين الجانبين المصري والبريطاني عن طريق حسن نشأت باشا السفير المصري في عاصمة الضباب' ثم عن طريق عبد الفتاح عمرو باشا الوزير المفوض من الدرجة الأولى بالسفارة الملكية في بريطانيا العظمى في نوفمبر ١٩٤٤ والذي عُرف عنه علاقاته الطيبة بالسلطات الإنجليزية في لندن(٩٨).

هكذا، كانت الدعاية المحورية، خاصة الألمانية منها نشيطة إلى حد كبير، جذبت أوساطًا متباينة تفاعلت معها، نظرًا لخلفية الممارسات غير الإنسانية للسلطات البريطانية في مصر، ولم تكن الاتصالات المصرية على كافة جبهاتها سوى وجهٍ من وجوه الامتثال للدعاية الألمانية النازية، كما كانت العلاقة بين الاتصالات السياسية المصرية وبين الدعاية الألمانية علاقة تصاعدية، اتجه فيها الخط البياني إلى القمة ما دامت الانتصارات الألمانية في أوجها، بينما اتجه هذا الخط إلى القاعدة بمجرد هزيمة روميل في العلمين، والتيقن من عدم جدوى تلك الاتصالات، والاستسلام للأمر الواقع وهو الاحتلال البريطاني الذي ظل جاثمًا على صدور المصريين حتى عام ١٩٥٦.

هوامش الدراسة

*دول المحور تعنى: تحالفًا بين كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان في الحرب العالمية الثانية ضد الحلفاء بقيادة إنجلترا، ولكن الشائع في الأدبيات السياسية أن المصطلح يقتصر على ألمانيا وإيطاليا، ولذلك فإن هذا البحث يقتصر على نشاط هاتين الدولتين.

١ــ عبد الحكيم أبو اللوز: الدعاية السياسية في المغرب ؛ دراسة الفعل الدعائي كما مارسته الأحزاب السياسية. منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسيةlibia forum.org

٢ــ لمزيد من التفاصيل انظر، عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، سنة ١٩٨٤.

٣ ــ تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة، الفاتيكان، الباباوات، الكنيسة الرومية hukam.net

٤ ــ المهدي البهالى: الدعاية، وسائلها وأساليبها وأهدافها.khayma.com/risala

حديث مع أمين صوصى علوى أستاذ الإعلام والأيديولوجيا في معهد إيمكا الفرنسي في ٧فبراير ٢٠٠٩.

٥ــ جان مارى دومیناك: الدعاية السياسية. ترجمة صلاح مخيمر،عبده ميخائيل رزق، الأنجلو المصرية١٩٦٠ ص٦.

٦ ــ جى دورندان: الدعاية والدعاية السياسية. ترجمة رالف رزق الله.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط١ سنة١٩٨٣ ص ص ٥،٦.

٧ ــ صلاح نصر: الدعاية السياسية. معركة الكلمة والمعتقد.ج١،القاهرة ١٩٦٦،ص٩٠.

٨ ــ واصف عريقات: الحرب النفسية أخطر من الحرب القتالية.panet.co.il/online

٩ ــ صلاح نصر: مرجع سابق، ص٧٩.

١٠ ــ لورد نورثكليف (ألفريد هارمسورث) كان يسيطر على نصف صحافة لندن وأهمها التايمز والديلى ميل. كتاب المؤامرة بين الحقيقة والتكذيب.ج٤،اكتمال المؤامرة قبل انتهاء الحرب العالمية الأولىalmawa.ws

١١ ــ لندلى فريزر: الدعاية السياسية، ترجمة عبد السلام شحاتة، مراجعة عثمان نويه.(الفكر العالمى) سلسلة كتب شهرية تصدرها جمعية الوعي القومي،عدد ديسمبر١٩٦٠، ص٢٦.

١٢ ــ صلاح نصر: مرجع سابق،ص٧٩. وغليوم الثانى Guillaume II (١٨٥٩ــ١٩٤١) ملك بروسيا ثم إمبراطور ألمانيا، ابن الإمبراطور فريدريك الثالث Frederic III وحفيد غليوم الأول من طرف أبيه وملكة بريطانيا فيكتوريا Victoria(١٨٣٧ــ ١٩٠١) من طرف أمه. خلف أباه في الحكم عام ١٨٨٨ واتبع سياسة محافظة قائمة على مبدأ التوازن في القوى وعهد إلى رئيس وزرائه بسمارك Bismark,Otto Von (١٨١٥ــــ ١٨٩٨) بتنفيذها، وبعد أن تخلص غليوم الثاني من تأثير بسمارك عام ١٨٩٠،اعتمد سياسة حديثة اتسمت بالتوسع التجاري الاستعماري مما أقلق بريطانيا العظمى، وحققت ألمانيا في عهده تقدمًا صناعيًا واقتصاديا ملحوظينً دون أن يترافق ذلك مع حدوث التغيرات الاجتماعية التي

يفترضها هذا التقدم. أما على الصعيد الخارجي فقد دخل في أحلاف مؤقتة مع كل من روسيا وفرنسا، ولكن سياسته اتسمت رغم ذلك بالتردد والتناقض. وقد بدأ منذ عام ١٨٩٨ بانتهاج سياسة تسليح واسعة على المستوى البحري والبرى فتناقضت طموحاته الاستعمارية مع الطموحات الاستعمارية للدول الكبرى مما أدى لقيام الحرب العالمية الأولى. وقد حدت الحرب من سلطته على الصعيدين الداخلي والخارجي إذ تخلى عن العديد من صلاحياته للعسكريين، وبعد عام ١٩١٦ لم يعد يمارس سوى سلطة رمزية، وبعد هزيمة ألمانيا في عام ١٩١٨ كانت إحدى شروط الحلفاء لعقد صلح معها هي عزل غليوم الثاني من منصبه، وعند اندلاع الثورة الألمانية عام ١٩١٩ ترك غليوم ألمانيا ولجأ إلى هولندا في ٩نوفمبر من نفس العام حيث ظل هناك حتى وفاته في عام ١٩٤١، ورغم مطالبة الحلفاء بتسليمه من أجل محاكمته كمجرم حرب إلا أن الحكومة الهولندية لم ترضخ لهذا الطلب.عبد الوهاب الكيالى: موسوعة السياسة، ج٤، بيروت(د.ت) ص ٣٥٧.

١٣ ــ جيهان رشتي: الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية. دار الفكر العربى١٩٨٥،ص ٢٦.

١٤ ــ محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام. سلسلة القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦،ص ٥٥٣.

١٥ ــ صلاح نصر: مرجع سابق، ص١٣٣.

١٦ ــ خالد محمود الكومى: الوظيفة الدبلوماسية والدعاية الخارجية في ضوء التحدي الصهيوني. ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية١٩٧٦، ص ص ١٤١،١٤٠.

١٧ ــ هلمت هايبر: يوميات جوبلز(جوبلز في أول أيامه١٩٢٥ــ ١٩٢٦) تعريب خيري حماد، كتب سياسية، الدار القومية للطباعة والنشر١٩٦٣،ص٨. والدكتور جوزيف جوبلزJoseph Goebbels (٢٩ أكتوبر١٨٩٧ــ ١مايو١٩٤٥) تطوع في الحرب العالمية الأولى في الجيش الألمانى،تم رفضه لتسطح قدميه(Flat Foot) وفى ١٩٢٢ انضم للحزب النازي، ومن الطريف أنه كان من المعارضين لعضوية هتلر في الحزب عندما تقدم الأخير بطلب للعضوية. لعب دورًا مهمًا في ترويج الفكر النازي لدى الشعب الألمانى بطريقة زكية، وقبل إقدامه على الانتحار عيّنه هتلر ليكون مستشار ألمانيا، كما اتضح في وصية هتلر الخطية، إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ.Wikipedia.org

١٨ ــ جيهان رشتى: مرجع سابق، ص١١٨.

١٩ ــ مصطفى الحفناوى: الدعاية السياسية والاستعلام.القاهرة ١٩٥٤ ص١٠٧.

٢٠ ــ لوكاز هيرزويز:ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي. ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف١٩٧١ ص ص ٣٠٣، ٣٠٤.روميل من مشاهير العسكريين الألمان الملقب بثعلب الصحراء، درّب فيلق الصحراء الألماني الذي تسلّم قيادته في عام ١٩٤١ تمهيدًا للعمليات الحربية في صحراء شمال أفريقيا، حالفه النصر في المراحل الأولى ثم هزمه القائد البريطاني مونتجمرىMontgomery (١٧ نوفمبر ١٨٨٧ــــ ٢٤ مارس ١٩٧٦) في معركة العلمين، تقلد قيادة القوات الألمانية شمال فرنسا عام ١٩٤٤. قيل إنه أُجبر على تناول السم حينما كُشف اشتراكه في مؤامرة دبرها الجيش ضد هتلر، وقد قامت زوجته بنشر مذكراته.عبد الوهاب الكيالى: مرجع سابق، ج٢، ص٨٦٣.

٢١ ــ رءوف عباس حامد: العلاقات المصرية الإيطالية قبيل الحرب العالمية الثانية. من كتاب(مصر وعالم البحر المتوسط في العصر الحديث) مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٩٦، ص١٤١.

٢٢ – الأهرام: أول أبريل ١٩٣٩. وموسولينى Mussolini مؤسس الحركة الفاشية ورئيس وزراء إيطاليا ١٩٢٢ــ ١٩٤٥، ينتمي إلى أب اشتراكي من الطبقة العاملة. عمل في حقل التدريس وسُجن لنشاطه الاشتراكي في عام ١٩٠٨ ولمعارضته الحرب الإيطالية لاحتلال ليبيا عام ١٩١١، وأصبح رئيسًا لتحرير (أفانتى) أى الطليعة الناطقة بلسان الاشتراكيين، ونادى بالانحياز إلى الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الأولى لكي تأخذ إيطاليا مكانها بين الدول الكبرى بعد الحرب، الأمر الذي أدى إلى طرده من الحزب الاشتراكي. شارك في الحرب وجُرح، كسب تأييد الطبقة الوسطى والاتجاهات اليمينية في أثناء صراعه من أجل كسب العمال إلى جانب كتائبه" القمصان السوداء" وسعيه للسيطرة على الدولة. وعندما نظّم الزحف على روما عام ١٩٢٢ تمكن من تسلم منصب رئيس الوزراء، فأصبح حزبه حزبًا شيرعيًا ثوريًا. لمزيد من التفاصيل أنظر عبد الوهاب الكيالى: مرجع سابق، ج٦، ص٤٧٠.

٢٣ ــ محمود صالح منسى: مرجع سابق، ص٢٠٧.

٢٤ ــ رءوف عباس حامد: مرجع سابق، ص١٣٨.

٢٥ــ محمود صالح منسى: مرجع سابق، ص٥٩٧. إيتالو بالبو قائد عسكري إيطالي، طيار، حاكم ليبيا، ولى عهد موسوليني، زعيم فرق القمصان الإيطالية، وزير الطيران.كان نشطًا سياسيًّا منذ سن مبكرة، في سن الرابعة عشرة التحق بتمرد في ألبانيا تحت إمرة غاريبالى ابن جوزيف غاريبالدى، وما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى وإعلان إيطاليا حيادها، أيّد بالبو الانضمام إلى الحرب إلى جانب الحلفاء، وعندما انضمت إيطاليا إلى الحرب خدم في الفوج الثامن في جبال الألب، بعد الحرب درس في فلورنسا وحصل على ليسانس في العلوم الاجتماعية ثم عاد إلى مسقط رأسه قرب فيرارا ليشتغل موظفًا في أحد البنوك، في عام ١٩٢٠ التحق بالفاشيين، وسرعان ما أصبح أمينًا لمنظمة فيرارا الفاشية، شكّل فرقته الخاصة باسمCelibano على اسم شرابهم المفضّل وقاموا بفك الإضراب المحلية لملاك الأراضي وهاجموا الشيوعيين والاشتراكيين، في عام ١٩٢٢ أصبح واحدًا من الدوقات وأنشأ قيادته المحلية في الحزب. وكان بالبو واحدًا من الأربعة المخططين الرئيسيين في مسيرة روما التي كان من شأنها في نهاية المطاف وقوع إيطاليا تحت الحكم الفاشي، وفى عام ١٩٢٥ أصبح القائد العام للميليشيات الفاشية ووكيل وزارة الاقتصاد الوطني.Wikipedia.org

٢٦ــ محسن محمد: التاريخ السري لمصر من الوثائق البريطانية والأمريكية. دار المعارف ١٩٧٩، ص ص ١٢٨، ١٢٩.

٢٧ ــ جيهان رشتي: الإعلام الدولي، دار الفكر العربي ١٩٨٦ ص٣٧. والموجات القصيرة هي موجة الردايو التي يكون طول ذبذبتها أقصر من تلك الموجات المستخدمة في البث الإذاعي متوسطة الموجة. وطول الذبذبة للموجة هو المسافة بين نمطين متتابعين مكررين للموجة، وتوجد علاقة بين الطول الموحى والتردد؛ فكلما زاد التردد قصُر طول الموجة. وللموجات القصيرة درجات تردد أعلى من ١،٦ ميجاهرتز، وهو الحد الأقصى لنطاق إذاعة الموجة المتوسطة. وتحمل الموجات القصيرة موجات الردايو ذات تضمين التردد، وإشارات التلفاز، والمحادثات الهاتفية، والرسائل المكتوبة بواسطة الأجهزة الإلكترونية، والمعلومات الخاصة بالملاحة وملاحي الطائرات. وتنقسم ترددات الموجة القصيرة إلى العديد من النطاقات، حيث يشمل نطاق الموجة متوسطة التردد موجات قصيرة بترددات تصل إلى ٣ ميجاهرتز، وتتراوح ترددات الموجات عالية التردد بين ٣ و٣٠٠ ميجاهرتز، بينما تتراوح ترددات الموجات فائقة التردد بين ٣٠٠ و٣٠٠٠ ميجاهرتز.Wikipedia.org

٢٨ ــ لوكاز هرزويز: المرجع السابق، ص ص ٣١٥، ٣١٦.

٢٩ــ محمد جمال الدين المسدى، يونان لبيب رزق، عبد العظيم رمضان: مصر والحرب العالمية الثانية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ١٩٧٨، ص٧٩.

٣٠ ــ جيهان رشتى: الإعلام الدولي، ص ص ٣٧، ٣٨.

٣١ ــ المرجع السابق: ص ١٢٥.

٣٢ ــ نفسه: ص ١١، ٣، ١٥٦.

٣٣ ــ عبد القادر حاتم: مرجع سابق، ص ٥٣٩.

٣٤ ــ F.O.407/223.No.41.Lampson to Halifax ,16.10.1939.

٣٥ ــ جمال المسدى وآخران: مرجع سابق، ص ٧٩.

٣٦ ــ نفسه:ص ص ٧٩، ٨٠.

٣٧ ــ مارسيل كولومب: تطور مصر ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠. ترجمة زهير الشايب، تقديم أحمد عبدالرحيم مصطفى، مكتبة مدبولى (د.ت)،ص ص ١١٥، ١١٦.

٣٨ ــ عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعى: مصر في التاريخ الحديث والمعاصر ١٧٩٨ ــ ١٩٧٣ مع مجموعة بحوث ودراسات، ط١، مطبعة الجبلاوى ١٩٩٢، ص ٢٣٧.

٣٩ــ الجاسوسية Esponage: والجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت شعار كاذب ليحصل على معلومات عن العمليات العسكرية لدولة محاربة بهدف إيصالها للعدو، فهو يعمل في وقت الحرب والسلم ويحصل على معلومات لتعزيز جبهة الدولة التي يتجسس لحسابها في حالة نشوب حرب جديدة عن تطور الأسلحة الحربية في الدول الأخرى وما وصلت إليه من تكنولوجيا حديثة، ومن أجل تقوية الصراع القائم بين الدول على القواعد الإستراتيجية والسيطرة على مناطق النفوذ، والاستفادة من الاضطرابات السياسية في بقاع العالم. حنان أخميس: علم المخابرات" الجاسوسية " ج١،أكتوبر ٢٠٠٤ diwanalarab.com

٤٠ ــ رفعت السعيد: اليسار المصري ١٩٢٥ــ ١٩٤٠، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٢، ص ص ٥٢، ٥٣.

٤١ ــ بول كارل: ثعالب الصحراء، دار القلم، بيروت ١٩٨٠، ص ٣٢٣.

٤٢ ــ الطابور الخامس: تعبير نشأ في أثناء الحرب الأهلية الأسبانية التي نشبت عام ١٩٣٦ واستمرت ثلاث سنوات، وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال "إميليو مولا" Emilio

Mola أحد قادة القوات الثائرة الزاحفة على مدريد وكانت تتكون من أربعة طوابير من الثوار، وقال: إن هناك طابورًا خامسًا يعمل مع الثوار من داخل مدريد. ويقصد به مؤيدى الثورة من الشعب. وترسّخ هذا المعنى في الاعتماد على الجواسيس في الحروب.Wikipedia.org

٤٣ ــ بول كارل: مرجع سابق، ص ٣١٦.

٤٤ ــ جمال المسدى وآخران: مرجع سابق، ص ٧٨.

٤٥ ــ بول كارل: مرجع سابق، ص ٣١٦.

٤٦ ــ الأبويرAbwehr إدارة مكافحة التجسس التابعة للقيادة العليا الألمانية وكان يرأسها الأميرال "كاناريس" Canaris. صالح منسى: مرجع سابق، ص ٥٧٩.

٤٧ــ أرتيميس كوبر: القاهرة في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ــ ١٩٤٥، ترجمة محمد الخولى، دار الموقف العربي للصحافة والنشر والتوزيع،١٩٩٦ص ص ٢٦٣، ٢٦٤. وللمزيد من التفاصيل عن هذا الجاسوس الألماني انظر محمد صبيح: طريق الحرية. مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر(د.ت)، أنور السادات: صفحات مجهولة، دار التحرير للطبع والنشر(د.ت) ص٥٧ وما يليها.

٤٨ ــ بول كارل: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

٤٩ ــ أرتيميس كوبر: مرجع سابق،ص ص ٢٦٦ ــ ٢٦٨.وقد نُشرت رواية "ريبيكا" Rebecca عام ١٩٣٨ ووجدت عند نشرها إقبالاً جماهيريًا فوريًا، ثم تحولت عام ١٩٤٠ إلى فيلم سينمائى إخراج ألفريد هيتشكوك Alfred Hitchcock نال عنها جائزة الأوسكار عن أحسن إخراج. انظر: في الذكرى ال٢٩ لرحيله.. هتشكوك ملك أفلام الرعب والكوميديا والتشويق.Alitthad.com

٥٠ ــ بول كارل: مرجع سابق، ص ٣١٥.

٥١ ــ حنان أحميس: تاريخ الدبلوماسية(١) The Arab Orient for Stratigic and Civilization Studies.London.

٥٢ ــ عاصم الدسوقى: مصر في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ــــ ١٩٤٥، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٦، ص ص ٦٦، ٦٧.

٥٣ ــ محسن محمد: مرجع سابق، ص ١٢٥.مسيو سيرافينو دى بونتى ماتزوليني Serafino Dei Ponti Mazzolini وزير إيطاليا المفوض في مصر منذ قدم أوراق اعتماده في ١٥

يناير ١٩٣٦ خلفًا لمسيو بلجرينو جيجيPellegrino Ghigi، نال شهادة الـدكتوراه في الحقوق واشترك في الحرب العالمية الأولى برتبة ملازم مدفعية وخرج منها فـائزًا بالـصليب الحربى، وكان قد انضم للحزب الفاشي عام ١٩٢٥ وشارك في مسيرة روما، كما عُين وكيلاً للحزب وعضوًا في المجلس الفاشستى الأعلى.التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٢٨ فعُـين قنصلاً عامًا في سان باولو بالبرازيل ثم نُقل منها إلى مونتيفيديو بأورجواى كـوزير مفـوض ومندوب فوق العادة.صفاء محمد شاكر: الخارجية المصرية ١٩٣٧ــ ١٩٥٣، دكتوراه غـير منشورة، بنات عين شمس ١٩٩٧، ص ص ٨٨، ٨٩.

٥٤ ــ المرجع السابق، ص ١٢٩.

٥٥ ـــ F.O.407/219(1) Enc. In No.49.Annual Report on Head of Foreign Missions at Cairo for 1935 , March 3, 1936 .

٥٦ ــ F.O.407/222(1) No.16.AnnualReport on Head of Forein Enc.in Mission at Cairo for 1937 ,feb.10,1938.

٥٧ ــ جمال المسدى وآخران: مرجع سابق،ص ص ٧٧، ٧٨.

٥٨ ــ محمد أنيس: ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٢ ص ٦٦.

٥٩ ــ Wilson, Eight Years Over Seas 1939 – 1947.London 1948.P.39-46

٦٠ــ دار الوثائق: وثائق الخارجية، محفظة ١١٤٣، ملـف ٧٤/٩/٥٥، الحـرب الأوروبيـة ١٩٣٩، معاملة ممثلى دول البلاد التي احتلتها ألمانيا أو الواقعة تحت سـيطرتها. مـذكرة إلى وكيل وزارة العدل بشأن معاملة البعثات التمثيلية لرومانيا وبلغاريا والمجر والدانمارك في مصر، إمضاء وكيل الخارجية ٢٦ أبريل ١٩٤١.

٦١ــ وثائق قصر عابدين: ملف ٥٧٥٠ " سرى "، إجراءات بشأن التمثيل السياسي والقنصلي لبعض الدول الأجنبية في مصر والتمثيل السياسي والقنصلي المـصري في الخـارج. مجلـس الوزراء. قرار.

٦٢ــ دار الوثائق: وثائق الخارجية، محفظة ١١٤٤، ملف ١٠٥/٩/٥٥ (الحراسة على أمـوال اليابانيين في مصر وأموال المصريين في اليابان) "سرى وعاجل" أول فبرايـر ١٩٤٢، إمـضاء صليب سامي وزير الخارجية.

٦٣ ــ Kirk , George , The Middle East in The War 1939 – 1946 , London 1952.p.200

٦٤ ــ أرتيميس كوبر: مرجع سابق، ص ١٢٧.

٦٥ ــ رءوف عباس حامد: الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢، دار الكاتب العربي ١٩٦٧،ص ص ٢١٤، ٢١٥.

٦٦ــ مضابط مجلس النواب: الهيئة النيابية السابعة، دور الانعقاد العادي الثاني، الجلسة الثامنة، ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨،ص ص ٢٥٥ ــ ٢٥٧.

٦٧ ــ F.O.407/224.No.51.Lampson to Halifax , June 15,1940.

٦٨ ــ Wilson , op. cit. p.p.25 – 39.

٦٩ ــ هدى جمال عبد الناصر: الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية ١٩٣٦ــــ ١٩٥٢ ط١، دار المستقبل العربي ١٩٨٧،ص ص ٩٥ــ ١٠٢.

٧٠ــ Little , Tom , Egypt. London 1958 , p.158.

٧١ ــ عبد الوهاب بكر: الوجود البريطاني في الجيش المصري ١٩٣٦ــــ ١٩٤٧. ط ١، دار المعارف ١٩٨٢،ص ص ٢٥٣، ٢٧٦، Vatikiotis , P.J. The Modern History of Egypt ,London 1969 , p.p.343 – 347

٧٢ ــ محسن محمد، مرجع سابق، ص ١٢٤.

٧٣ ــ يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ــ ١٩٥٣، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ١٩٧٥، ص ٤٢١.

٧٤ــ عبد الخالق محمد لاشين: أضواء على وزارة على ماهر من الحرب العالمية الثانية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٤، عام ١٩٧٧،ص ص ٢٤٩، ٢٥٠. ٧٥ ــ رفعت السعيد: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠،المجلد الثالث، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٨، ص ٧٨.

٧٦ ــ يونان لبيب رزق: مرجع سابق، ص ٤٢١.

٧٧ ــ عبد العظيم رمضان: الاتصالات المصرية السرية بدول المحور ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥، السياسة الدولية، العدد ٢٦ أكتوبر ١٩٧١، ص ٤٦.

٧٨ــ هدى عبد الناصر: مرجع سابق، ص ١٥١، محسن محمد: مرجع سابق،ص ص ٣٢٣، ٣٦١.

٧٩ ــ لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية ١٩٣٧ ــ ١٩٥٣، ط ١، مكتبة مــدبولى ١٩٨٩، ص ١١٤.

٨٠ ــ سامي أبو النور: دور القصر في الحياة السياسية في مــصر ١٩٣٧ ــ ١٩٥٢، مكتبــة مدبولى ١٩٨٨،ص ص ٢٣٨، ٢٣٩.

٨١ ــ يونان لبيب رزق: أصحاب القمصان الملونة في مصر ١٩٣٣ــ ١٩٣٧ المجلة التاريخيــة المصرية، المجلد ٢١ سنة ١٩٧٤، ص ١٩٧.

٨٢ ــ علي شلبي: مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣ــ ١٩٤١، ج١، ط١، دار الكتاب الجامعي ١٩٨٢.ص ص ٤٣٨، ٤٣٩.

٨٣ــ يونان لبيب رزق: أصحاب القمصان الملونة..، ص ١٩٨.

٨٤ ــ لطيفة سالم: مرجع سابق، ص ٧٢.

٨٥ ــ لوكاز هيرزويز: مرجع سابق،ص ص ٣٠٨، ٣٠٩.

٨٦ ــ نفسه: ص ٣٠٧.

٨٧ ــ عبد العظيم رمضان: مرجع سابق، ص ٥٤.

٨٨ ــ نفسه: ص ٦٠.

٨٩ ــ صليب سامى: ذكريات ١٨٩١ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٥٢، ص ٢٦٥.

٩٠ ــ محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ج٢ (١٩٣٧ ــ ١٩٥٢) مطبعــة مصر ١٩٥٣،ص ص ١٩٩، ٢٠٠. وكان القصر يعج بالإيطاليين أمثال ميلانيــزى رئــيس فرقة الموسيقى، فيرونيتشى كبير المهندسين، أنجلو سان ماركو المؤرخ وكان وثيق الصلة بدوائر القصر، وحتى هؤلاء الذين شغلوا وظائف غير مهمة في القصر أثار نشاطهم وقربهم من الملك حساسيات بالغة، مثل: هارو، وأنطون بوللى، وكانوتشى مدرب الكلاب. رفعت الــسعيد: الإيطاليون في غمار السياسة المصرية. العدد الخامس، مجلة مصر الحديثة، مركز تاريخ مــصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٦، ص ١٠٩.

٩١ ــ وجيه عبد الصادق عتيق: الملك فاروق وألمانيا النازية. خمس سنوات من العلاقة الــسرية. تاريخ مصر في الحرب العالمية الثانية في ضوء الوثائق الألمانية. ط١، دار الفكر العربى ١٩٩٢، ص ١٨.

٩٢ ــ نفسه،ص ص ٢٣، ٢٤

٩٣ ــ لوكاز هيرزويز: مرجع سابق،ص ص ٣٠٥، ٣٠٦. ريبنتروب، جواشيم Ribbentrop,Joachim (١٨٩٣ــ ١٩٤٥) وزير خارجية ألمانيا، حكمت عليه محكمة نورمبرج الدولية بعد الحرب بالإعدام، لعب دورًا مهمًا في الاتصالات الدبلوماسية التي مهدت لغزو كل من ألمانيا والاتحاد السوفييتي لبولندا عام ١٩٣٩ فهو الذي لعب الدور الأول في إعداد معاهدة الاعتداء التي عُقدت بين هتلر وستالين في ٢٣ أغسطس من نفس العام. عبد الوهاب الكيالى: مرجع سابق، ج٢، ص ٨٦٩.

٩٤ ــ أرتيميس كوبر: مرجع سابق،ص ص ١٧٤، ١٧٥.

٩٥ــ الوقائع المصرية: ٨ يونيو ١٩٤٢، أمر ملكى رقم ٢٢. وعن أسباب اختيار فاروق لطهران لإجراء مباحثاته مع المحور أنظر يونان لبيب رزق: العلاقات الإيرانية بمصر والعراق على عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥ ــ ١٩٧٩ من كتاب العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٩٣،ص ص ١٠٧ ــ ١١٠.

٩٦ ــ لطيفة سالم: مرجع سابق،ص ص ٣٠٨ ــ ٣١٠.

٩٧ ــ محسن محمد: سنة من عمر مصر. الوثائق السرية البريطانية عن قضية اغتيال أمين عثمان، الجمهورية، ٦ يوليو ١٩٧٧.

٩٨ ــ لطيفة سالم: مرجع سابق،ص ص ٣٣٣، ٣٧٨.